

منهاج

فُضِّلَتْ بِهَا رَحْبَتُ

فضيلة الشيخ
هاني حلمي



أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

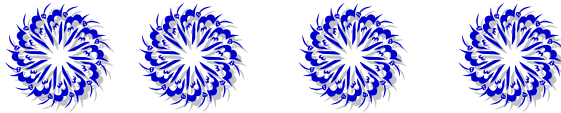


الحمْد لله وحده وصلى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى وآله
المستجملين الشرف ..

ثم أما بعد ..

فاسأله الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن
يزيدنا علماً ينفعنا

ربنا ظلمنا أنفسنا ظلاً جثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاعف لنا مغفرة من عندك
وارحمنا برحمة تغنيننا بها عن رحمة من سواك.



كنا على مدى المحاضرات السابقة نتكلم في علامات من عَرَفَ الله عَزَّ وَجَلَّ ..
وهنا نذكر نطوف اليوم في علامة جديدة، ذكرها الإمام ابن القيم في باب المعرفة في كتاب المدايح ..

فقال::

"وقال آخر: من عَرَفَ الله تعالى ضاقت عليه الدنيا بسعتها،

وقال غيره: من عَرَفَ الله اتسع عليه كد ضيق"

المسألة من البداية .. إن العلامة هكذا فيها تناقض .. بمعنى:

كيف للمرء أن يعرف الله عَزَّ وَجَلَّ فتضيق عليه الدنيا وتتسع؟

فكيف التوفيق بيه هذا التناقض؟!

قال هو "ولا تنافي بين هذين الأمرين، فإنه يضيق عليه كل مكان لا يُساعد فيه على شأنه ومطلوبه"

بمعنى إذا تواجد في مكان وهذا المكان يُعطله عن مراده .. عن مراده .. عن مقصوده .. لذا يضيق صدرًا، ويضيق ذراعًا من هذه الأماكن ..

فبالتالي لو كانت أماكن يعصي الله عَزَّ وَجَلَّ فيها، فهو يتبرَّم ويتضجَّر ويشعر أن هذا المكان لا يحقُّ له أن يتواجد فيه بأي حال.

"ويتسع عليه ما ضاق على غيره؛ لأنه ليس فيه ولا هو مُساكنٌ له بقلبه .. فقلبه غير محبوس فيه"

وفي نفس الوقت قد فهم المعنى الذي سنذكره تفصيليًا .. معنى هذا السجن .. ويستعذب ذلك، إذا كان بالنسبة له خلوة .. وإذا كان بالنسبة له محل يُساعده على مطلوبه، فيتقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ أكثر .. فيتسع عليه ما يضيق على غيره ..

بمعنى أنه من الممكن أن يسكن في مكان - فقير - وأنت تراه من الخارج فتقول: كيف يعيش هكذا؟! .. بينما هو يعيش في جنة.

وبقاييس البشر من الممكن أن يكون ساكنًا في بيت غرفتين وصالة، ودخله بسيط جدًا .. لكنه في منتهى السعادة؛ لأنه يستشعر فيه القرب من ربه تبارك وتعالى فيساعده على مطلوبة .. انتبهوا لهذا الكلام ..

يقول ابن القيم::

والأول: في بداية المعرفة.

والثاني: في نهايتها التي يصل إليها العبد.

في البداية لابد أن تشعر يا ختناق وضيق، وتشعر أن هذه الدنيا ليست ملك لك وليست مكانك ..

ثم تأتي لذة حلاوة الإيمان في القلب، فيستشعر الأنس به سبحانه وتعالى .. فيتسع صدره وينشرح.

انظروا هذا المعنى نريد أن نبدأ به، أن الله سبحانه وتعالى عندما ذكر مسألة سعة الصدر هذه .. وهي شرح الصدر .. ماذا قال ؟

{لَمْ نُشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (*) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (*) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ} [الشرح: 1,3]

وهذا المعنى بالضبط في حالنا .. إنك في البداية في أول الطريق، ذنوبك تكون مقيداك .. تقصم ظهرك .. عندما تتحقق بمعاني التوبة ومعاني الالتزام الحقيقية والاستقامة، ينشرح الصدر .. فكان هذه العلامة بالضبط مراده في سورة الشرح .

متى سيُشرح الصدر ؟!

البداية : اعلم إنه لابد أن يحدث لك هذا .. لذلك في البداية، يتولى الكثيرين وكثيرون لا يفهموا حقيقة (الإختناق) الذي يحدث في البداية وهذا الضيق الذي يحدث في البداية .. لا يعرف كيف يتعامل مع الناس .. غير قادر على العمل .. غير قادر .. ماذا يفعل ؟

فتضيق عليه الدنيا بما رحبت، إلى أن يسط له ربُّه تبارك وتعالى البساط ..

قبضك حتى لا تكون مع البسط، وبسطك حتى لا تكون مع القبض ..

ففي بداية الأمر يجب أن يكون في بعض القبض، وبعدها يأتي البسط ..

فلذلك يجب أن نتوقف عند هذه العلامة كثيراً، وسأخذ الجزء الأول منها وهو **(هاقت عليه الدنيا)** والخاصرة القادمة
نظر في نهاية الأمر كيف سيكون البسط ..

في البداية: أريد أن أصحح مفهوماً في مسألة ضاقت عليه الدنيا.

❶ لا يعني ضيقه من الدنيا الجزع ..

نحن نقع في هذه المشكلة دون أن ندري، بمعنى: إنه يقول أيُّ دنيا وأيُّ وجع قلب؟! .. لا يطيق الدنيا ولا شيء.

وهذا هو مظهر **الجزع** .. فهو غير صابر .. هو سأم من الدنيا والابتلاءات شديدة، فيقول أريد أن أموت.

والنبي **صلى الله عليه وسلم** يقول "لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه" **[متفق عليه]**

فانتبهوا لهذه جيداً، حتى لا تتلبس عليك الأمور .. وتقول: نعم والله الحمد لله أنت اليوم هكذا طمأنت قلبي إني أعرف ربنا .. عرفت الله ولذلك هذه الدنيا مسببة لي الضيق .. لا بالعكس، تكون الدنيا في يديه ويكون ضائق بها لا يريد لها .. لا يريد لها لأنه يراها محل فتنة ويراها إنما هلكة من هلكاته .. لينظر إليها بعين غير العين .

إذا انتبهوا معنى أنه ضاقت عليه الدنيا بسعتها:

ليس معناه أنه قد جزع أو تسكط، فضاقت عليه وإنما ضاقت عليه وحشةً وشغفاً .

ضاقت عليه؛ لأنه أنس بالله عزَّ وجلَّ ... لأنه يشتاق إلى الله .. فيقول: أيُّ دنيا هذه؟!، هل سنجري على المال ثانية؟!، هل سنجري وراء الشهوات ثانية؟! .. هل ستظل في هذه الطاحونة؟! .. فتضيق عليه الدنيا بهذا الاعتبار .

إذاً، ليس معنى أنها ضاقت عليه .. أنه قد جزع وتسكط، وإنما يتعامل بقلب الراضي.

ومثال ذلك: **يعقوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام**، فإنه لما نزل به البلاء قال:

{..قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} **[يوسف: 18]**

ثم جدد الأمل وتعلَّق أكثر بربه ..

فقال {..فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} **[يوسف: 83]**

كل ذلك من هذا الشيخ الكبير صاحب القلب الوجيع، فإذا به ينطقها ..

{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} **[يوسف: 86]**

فتعامل مع البلاء باليقين وقوة الرجاء ..

فقال {يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف:

[87]

وهكذا شأن المؤمن الواثق، لا يفقد صفاء العقيدة ونور الإيمان .. وإن هو فقد من صافيات الدنيا ما فقد.

أما **الإنسان الجزوع** ⇨ فإنه له من سوء الطبع ما يُنفره ويُضيّق عليه الدنيا بما رحبت ..

فهذا المظهر ليس هو الذي نتحدث عنه، إنما نتحدث عن مظهر رجل راضي عن الله سبحانه وتعالى .. وفي نفس الوقت يتعلّق قلبه به سبحانه وتعالى، فيضيّق بالدنيا التي لا تساوى عند الله شيئاً .. حسناً.

ما هي أسباب ضيقه من الدنيا؟؟

لأن هذه الأسباب لو تحقق منها شيء فينا .. إذا أنت على هُدي، ويكون لك نصيب من هذه العلامة .. من عَرَفَ الله، ضاقت عليه الدنيا ..

1) تضيق عليه الدنيا لما يري من مساخط الله فيها ..

فعندما ينظر إلى الفتن من حوله، تضيق عليه الدنيا .. فلو أن إنساناً أجلسوه في مكان جميل، أمامه مئات الكيلو مترات من الصحراء الواسعة ويجلس في قمة جبل أمامه الأشجار الخضراء ثم بحر .. لكن هذا المكان الجميل الرائع لا يخلو بقعة فيه من معصية لله تبارك وتعالى، فهذا المكان الجميل الطليق الواسع يضيق عليه حتى يحنق من مساخط الله التي تتزل .. فإذا دخل إلى مسجد صغير مُتليّ بالمصلين، لكنه بيت الله .. فهذا المكان الضيق يتسع به، فقد يكون بيته صغيراً لكن ليس فيه مظان لسخط الله .. فهنا يتسع عليه هذا المكان الصغير ..

ولذلك كيف كانت حدود بيت النبي صلى الله عليه وسلم؟

كان بيته **صلى الله عليه وسلم** يضيق، حتى أن السيدة عائشة رضي الله عنها لترفع قدمها؛ لأن غرفتها كانت صغيرة فلا تكفي لصلاته ونومها ..

أتصورون ما مدى ضيق المكان؟! .. وسقف بيت النبي صلى الله عليه وسلم كنت تستطيع أن تطوله، أو تستطيع أن تلمسه بيدك إذا رفعتها .. مكانٌ ضيق .. لكن كان فيه النبي صلى الله عليه وسلم، وكان صلى الله عليه وسلم يتسع له هذا المكان لأنه ليس فيه سخط الرحمن ..

قال الشاعر:

أحب الفلات مع الأمداء خيفة سم الضياط مع الإضهان ميدان

إبرة مع رفقة طيبة يكون شيء طيب جدًا، إنما مكان واسع جدًا وكله من أعدائك من شياطين الإنس والجن فهذا يضيق بك. إذاً أول شيء: تضيق عليك الدنيا لما تري فيها من مساخط الله ..

(2) تضيق عليك الدنيا لمعرفتك بجلال ربك وشدة عذابه للعصاة في الدنيا

فمن عَرَفَ الله وعَرَفَهُ بجلاله وعِظَمَ عذابه وشدة عقوبته، ضاقت عليه الدنيا بما رحبت .. والعكس من عَرَفَهُ بجماله وسعة فضله ورحمته، هـان عليه كل مُصاب.

ولذلك كان الحسن يقول: "والله ما صدَّق عبدٌ بالنار قط، إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت"

وكان يقول: "إن لله عبادًا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مُخلّدين وكن رأى أهل النار في النار معذبين، فكان رأي عين"

فإذا استشعر أن هذا هو المآل وهذا هو المصير، ضاقت عليه الدنيا بهذا الاعتبار.

(3) تضيق عليه الدنيا؛ لأنه يعلم أنها سجنه ..

من عيوب النفس .. يقول السُّلَمي في كتاب (عيوب النفس) إنه:

"من عيوب النفس: سرورها ومدحها وطلبها الراحة، وتلك من نتائج الغفلة"

المرء يفرح قليلاً ويتبسّط بالدنيا، وهو عكس هذه العلامة التي نذكرها .. وهذا من شأن النفوس، ألما تغفل بسبب هذه الأمور.

وقال أن مداومتها تتحقق بالتالي ..

(1) التيقُّظ لما بين يديها .. معرفة حقيقة الدنيا ..

(2) وعلمها بتقصيرها فيما أمر به ..

(3) وارتكابها لما نهيت عنه ..

(4) ثمَّ أن تعلم علم اليقين أن هذه الدار له سجن .. لا سرور ولا راحة في السجن ..

فإن النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث عند مسلم، قال "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" [رواه مسلم]

فقال: يجب أن يكون عيشه فيها عيش المسجونين، لا عيش المستروحين ..

وقد حكى عن داود الطائي أنه قال : "قطع نياط قلوب العارفين أحد الخلودين"

ما هو؟ .. إما خلود في الجنة أو خلود في النار ..

وقال رجل لبشر الحافي: مالي أراك مهموماً؟ .. قال: لأني مطلوب.

هنا فائدة:

ذكرها ابن القيم في (بدائع الفوائد) في تفسير هذا الحديث: حديث (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)

قال: معنى (الدنيا سجن المؤمن) فيه تفسيران صحيحان.

الأول: أن المؤمن قيده إيمانه عن المحذورات، فصار الأصل أن يكف نفسه ..

فصار الأصل عنده الجاهدة ..

فهذا الكف جعله في سجن، فشهوته مربوطة - مقيدة - فلهذا الاعتبار تكون سجن .

والكافر يطلق لها العنان .

إذاً نظرية بعض الإخوة في أن يفعل المباحات كلها على هواه، وطالما مباح افعله ولا تبالي .. تتنافى تماماً مع هذا الحديث.

إذاً هذا ما يعطينا ؟؟؟ .. يعطينا مصيبة هذا الزمان عند مُدْعِي الالتزام .. أين مصيبتهم ؟

مصيبتهم في عبودية الهوى ..

إذا أطلقت لنفسك العنان فقد وكلت إلى نفسك، ولو وكلت إلى نفسك طرفة عيه فله تذوق طعم الاستقامة،

لذا قال لفاطمة رضي الله عنها أن تقول صباح مساء:

"يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين" [رواه النسائي والبخاري وحسنه الألباني]

ونحن نفهمها خطأ، صار عندنا نظريات للأسف الشديد مسمومة ..

في مجموعة من دعاة هذا الزمان أو مفكري هذا الزمان، يريدون أن يتوصلوا حل .. عندنا متاهات والدنيا تحيط بالناس من كل جانب .. نريد أن نقوم بعمل نموذج وسطي، نموذج يجمع بين كل الأمور؛ لكي لا تنفر الناس ولكي تكون الدعوة واقعية.

فماذا أفعل ؟ .. قام بإدخال هذا على هذا على هذا .. فمن جملة هذه الأشياء، أن أسير في هوى الناس ..

هذا لأني لو ظللت أقول لهم الكلام الذي قد سُمِّموا فيه إعلامياً، هكذا أنا لن أكسبهم .. فماذا أفعل ؟؟

أكسبهم — إما أن لا تتحدث في هذا الموضوع نهائي، أو أنك تكون حين ولذيد و تُمِيع الأمور وتبسطها .. هذا هو الحل !!

حتى المرجعيات، ويقول لهم: المرجعية للكتاب والسنة وفعل الصحابة وفعل السلف وفعل كذا .. فالمصطلح نفسه يلعب به كما هو يُريد.

مثل السلف، فيقول : أنه كان يوجد أيضاً سلف في القرن الخامس والقرن السادس .. كلهم سلف .. تقول له: شمال، فيقول لك: وفلان قال كذا ...

ولو ظللت تبحث، ستجد أن كل المسائل التي تحلم بها لها أقوال .. قل فقط أنت تريد ماذا ونحن نأتيك به، انظر أنت ماذا تريد؟؟

وهذا ما أريد الحديث عنه في هذه النقطة

إطلاق العنان .. أنت ماذا تريد؟!

ما الذي يُتعبك ؟ .. هل الاختلاط يُتعبك؟؟ .. لا لا هذه المسألة كلها فقط من أجل سد الذريعة، فأنت طالما مؤدب ومحترم فليس لديك مشكلة.

إِذَا، ماذا عن قوله تعالى { .. وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ .. } [الأحزاب: 53]

فالله يتحدث عن القلوب .. فيقول لك: هل تراني سيئاً؟! .. هكذا أنتم، لديكم مشاكل نفسية ومعتقدات وتتصوروا أن أي واحد يتكلم مع أي واحد أنه سيزني معها .. ماذا حدث؟؟ ما الدنيا كلها تفعل ذلك ولا بأس !!

الله تعالى يتكلم عن القلوب ويقول أن قلبك سيفسد ..

فيرد ويقول: لا، هذه كانت في قوالب اجتماعية في أيام معينة أيام عهد النبي صلى الله عليه وسلم .. بالطبع نحن في عهد القوالب الاجتماعية الخاصة بنا نحن، فليس لدينا أظهر من قلوبكم وقلوبهن .. أصبحت قلوبنا فائتة .. فيرر خطاه بأي كلام ..

الغناء والموسيقى أيضاً تتعبك جداً؟؟ .. الدنيا كلها أغاني وموسيقى ..

ماذا أفعل لك؟ .. فالدنيا سجن المؤمن .. لا لا المسألة ليست هكذا فهاتي .. أعتقد أن المسألة بهذا المعنى؟! .. لا لا أبداً نهائياً .. بل بالعكس فالغناء يساعد على الطاعة !! .. وهناك قول لفلان وعلان ويحضر مسوغاتها وتطبيقاتها ويدعوا أن بعض الصحابة كانوا هكذا .. فليس هناك مشكلة ..

ماذا عن ابن مسعود الذي أقسم بالله ثلاث مرات أنها حرام !! .. هكذا أضعتوا قسم الرجل ؟ أقسم قائلًا : والله الذي لا إله إلا هو والله الذي لا إله إلا هو والله الذي لا إله إلا هو إنه الغناء ..

فيرد ويقول: لا بأس وهل نحن قلنا شيء؟؟ .. فقط هذا عندما يكون الغناء غير مهذب وخبيث ويتكلم في كلام غُهر ودعر، نقول صحيح، لكن عندما يكن الكلام طيب ومهذب فلا بأس .. لماذا ؟

لأنني لو قلت إنه حرام، هل كل هذه الناس لن تستمع للغناء ؟ .. يكون مزاح .. فلذلك نحن نُطلق التصرف

فالتفسير الأول (للحديث)::: المفترض أنه يُجاهد نفسه .. { .. وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى } [النازعات: 40]

التفسير الثاني: أن ذلك باعتبار العواقب ..

فالمؤمن لو كان أنعم الناس فبالإضافة إلى مآله في الجنة فهو في سجن ..

والكافر لو كان أشد الناس بؤساً، فبالنسبة إلى النار فهو في جنة.

على هذا الاعتبار .. ونحن قد قلنا إنها سجن ..

(4) تضيق عليه الدنيا؛ لأن قلوب العباد معلقة بالسما ففيها أنسه ..

أما رابع شيء: ركزوا هنا لأنكم تجدوا محاوره رائعة بين عبد الواحد بن زيد وأحد الرهبان، وهي ملأى بالحكم والقواعد في الطريق .. فاستمعوا وركزوا معي في نقطة نقطة من النقاط القادمة .. سنأخذ منها فقط مقطع وهو محل الشاهد، لكن سنذكرها كاملة لأهميتها.

✍ أوردها البغدادي في كتاب (الزهد والرقائق)

ذكر عبد الواحد بن زيد أنه مر براهب، قال:

فَنَادَيْتُهُ: يَا رَاهِبُ، مَنْ تَعْبُدُ؟ .. قَالَ: " الَّذِي خَلَقَنِي وَخَلَقَكَ "

قُلْتُ: " فَعَظِيمٌ هُوَ ؟ " .. قَالَ: " عَظِيمُ الْمَنْزِلَةِ، قَدْ جَاوَزَتْ عَظَمَتَهُ كُلُّ شَيْءٍ "

قُلْتُ: " فَمَتَى يَذُوقُ الْعَبْدُ الْإِنْسَ بِاللَّهِ ؟ " .. قَالَ: " إِذَا صَفَا الْوُدُّ وَخَلَصَتِ الْمُعَامَلَةُ "

متى يأنس المرء؟؟ .. قال له : عندما يكن حبيك لربنا صافياً تماماً وتتعلم درس الإخلاص ..

إِذَا، بِالْإِخْلَاصِ وَالْحُبِّ الصَّافِي يَنَالُ الْعَبْدُ الْأَنَسَ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،،

قُلْتُ: " فَمَتَى يَصْفُو الْوُدُّ ؟ " .. قَالَ: " إِذَا اجْتَمَعَ لَهُمْ فَصَارَ فِي الطَّاعَةِ "

"من جعل الهموم هما واحداً هم المعاد كفاه الله سائر همومه .." [رواه ابن ماجه وحسنه الألباني، صحيح الجامع (6189)]

قال :: فمتى تخلص المعاملة ؟

قال له في البداية الأنس .. **وَالْأَنَسُ يَتَحَقَّقُ بِأَمْرَيْنِ:**

(1) بصفاء الود .. (2) وبالإخلاص ..

فسأله عن تفصيل كل واحدة منهم ..

صفاء الود :: أن يكن الله في حياتك أولاً ويجمع الهمَّ عليه،

قُلْتُ: " فَمَتَى تَخْلُصُ الْمُعَامَلَةُ؟ " ... قَالَ: " إِذَا كَانَ الِهِمُّ هَمًّا وَاحِدًا "

الأول: إذا اجتمع الهمَّ فصار في الطاعة .. جمع الهمَّ على الطاعة.

الثاني: قال إذا كان الهمَّ همَّ واحدا فقط .. وهو همُّ المعاد أو أن يكون الله همَّه.

فهو عنده هموم دنيوية وعنده مشاغل في كذا وكذا .. فيقول له:

1) أنه يطرد هذه الهموم كلها ..

2) أنه يصرفها فيجعلها في الطاعة .. فيكسوها بهذا اللباس (لباس الطاعة) ..

ففي البداية : أنا لدي 20 أمر يشغلني .. العشرين أمر هؤلاء .. مشتتين ما بين دنيا وأحيانا يكون يأتيني وساوس شياطين وهموم معاصي ومشاكل .. فعندي أكثر من شيء

فيجعل الجانب المباح من الدنيا أو غيرها هذا كله، يُلبسه بلباس الطاعة ..

فهكذا قد اجتمع عليه .. فأنا مشغول بالوظيفة، فجعلت هذه الوظيفة لله .. مشغول بالزوجة، فالزوجة جعلتها كذلك ..

أنا مشغول بكذا وكذا من أمور الدنيا، فأصرفهم كلهم فاجعلهم في الطاعة ..

فكأنهم كانوا عشرين همًا، فصفيتهم وضبطتهم فجعلتهم 15 همًا .. أصبحوا في طاعة الرحمن ..

والمطلوب :: أنك تتحرى فيهم الإخلاص ..

يعني جعلهم طاعة في حد ذاته شيء جيد وخطوة أولى ..

الخطوة الثانية: تصفيتهم .. فمن الممكن أن تكون قد جعلتهم جميعا طاعة، لكن مازال بهم شوائب من أكدار الدنيا أو غيرها.

فالمعادلة تسير هكذا ..

(1) أنس ← يتحقق بصفاء الود وإخلاص المعاملة

(2) صفاء الود ← يتحصل: إذا اجتمع الهم فصار في الطاعة

(3) وخلوص المعاملة ← يتحصل: إذا كان الهم هماً واحداً.

قُلْتُ: " كَيْفَ تَخَلَّيْتُ بِالْوَحْدَةِ؟ " .. قَالَ: " لَوْ دُفَّتْ حَلَاوَةُ الْوَحْدَةِ، لَأَسْتَوْحَشْتُ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِكَ "

بالطبع هذه عبودية التبتل .. وابن الجوزي رأيه في المسألة هكذا::

كيف يجمع الهم؟؟؟

قال هذه , قال مسألة الاختلاط .. قال:

لأنه أن يكون له حظ من العزلة.

فلا بد أن يكون لك جلسة تُصفي فيها حالك مع الله سبحانه وتعالى ...

فقال: له كيف انقطعت لله ؟ .. فقال له: إنك لو دُفَّت حلاوتها فلن تستطع مفارقتها.

قُلْتُ: " مَا أَكْبَرُ مَا يَجِدُ الْعَبْدُ مِنَ الْوَحْدَةِ؟ " ...

ما هي أكبر ثمرة قد حصلتها عندما انقطعت لله سبحانه وتعالى؟ .. وعكف قلبك عليه ؟

قَالَ: " الرَّاحَةُ مِنْ مُدَارَاةِ النَّاسِ .. "

إنك تحتاج تتلون مع كل واحد بلونه للأسف الشديد .. فهذا في حد ذاته مُتعب للقلب

ففي وقت العمل يأتيك فلان، فلا بد لك أن تتكلم معه بطريقة معينة .. وآخر تكلمه بطريقة أخرى، ثم تتكلم مع الأهل فتعاملهم بطريقة ثالثة، تقابل ناس في الطريق فتعامل بطريقة رابعة، تذهب لتشتري شيئاً فتعامل بطريقة خامسة .. و .. و .. و .. و .. فصرت ذو عشرون وجه !..

قَالَ: " الرَّاحَةُ مِنْ مُدَارَاةِ النَّاسِ، وَالسَّلَامَةُ مِنْ شَرِّهِمْ "

لأن النبي صلى الله عليه وسلم وضع أن خلطة الناس أذى .. "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم" [رواه أحمد وصححه الألباني، صحيح الجامع (6651)]

فخلطة الناس أذى .. { .. وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا } [الفرقان: 20]

فلم يقل الفتنه ماذا ستكون، لكنه قال: أَتَصْبِرُونَ ..

فجعل الصبر هو الحل،

قُلْتُ: " بِمَا يُسْتَعَانُ عَلَى قِلَّةِ الْمَطْعَمِ؟ " قَالَ: " بِالتَّحَرِّيِّ فِي الْمَكْسَبِ، وَالنَّظَرِ فِي الْكَسْرِ "

قال له هذا يتحقق بأن تكون ورعاً، فتأكل من حلال و تتحرى .. وفي نفس الوقت تكن _ حتى أدنى شيء، يُمْنُ الله سبحانه وتعالى به عليك _ تعرف ما يسد جوعتك وتكتفي به وتكن قنوع.

قُلْتُ: زِدْنِي؟ .. قَالَ: " كُلُّ حَلَالًا وَإِنْ قَلَّ حَيْثُ شِئْتَ "

قُلْتُ: " فَأَيْنَ طَرِيقُ الرَّاحَةِ؟ " .. قَالَ: " خِلَافُ الْهَوَى "

متى سأرتاح؟ .. عندما تفعل عكس ما تريد ..

قُلْتُ: " وَمَتَى يَجِدُ الْعَبْدُ الرَّاحَةَ؟ " ... قَالَ: " إِذَا وَضَعَ قَدَمَهُ فِي الْجَنَّةِ "

قُلْتُ: " لِمَ تَخَلَّيْتَ مِنَ الدُّنْيَا وَتَعَلَّقْتَ فِي هَذِهِ الصُّومَةِ؟ " قَالَ: " لِأَنَّهُ مَنْ مَشَى عَلَى الْأَرْضِ عَثَرَ وَخَافَ اللَّصُوصَ .. "

هنا محل الشاهد: مَنْ مَشَى عَلَى الْأَرْضِ يَتَعَثَرُ، وإذا وقعت من الممكن أن يهجم عليك ألف واحد ويقضي عليك .. ويخرج لك الكثير من قُطَاعِ الطُّرُق ..

أُتَعَلَّمُ مَا هِيَ هَذِهِ الْعَثَرَةُ؟؟

التي نقول نحن عليها في مصطلحنا: (الانتكاس)

فأنت كنت ملتزم، ثم يوم فقط تتنازل .. فتجد ألف سكيينة وضعت عليك .. ومنها يتجمع عليك هؤلاء اللصوص، فتضيع.

وكثير من الناس حدث لهم هكذا .. ولدينا الكثير من الأمثلة بهذه الطريقة، من إخوة بدأ يتعامل مع أهل الدنيا بطريقتهم .. فهم

يفهمون بعضهم فيقول له : اليوم لا تدخل بلحيتك وتقول لي كذا كذا .. نحن فاهمين بعضنا البعض ..

وهي أيضاً في البيت هكذا، تقول له: لا تعتقد أنك شيخ وتقول كذا وكذا .. نحن فاهمين بعضنا البعض ..

فيجتمع عليك اللصوص _ لصوص الإيمان _ "فالشيطان لص الإيمان" .. هكذا قالوا السلف ..

قَالَ: " لِأَنَّهُ مَنِ مَشَى عَلَى الْأَرْضِ عَثَرَ وَخَافَ اللَّصُوصَ، فَتَعَلَّقَتْ فِيهَا وَتَحَصَّنَتْ بِمَنْ فِي السَّمَاءِ مِنْ فِتْنَةِ أَهْلِ الْأَرْضِ .."

فعندما وجدت العملية هكذا، شعرت أني لا يصح أن أسير على هذه الأرض .. فما الحل ؟

أن يكن هناك حبل موصول بيني وبين الرب، لأمسك فيه وأتعلق به وهذا هو طوق النجاة ..

فتجده قادم إليك من السماء مثل المنطاد ويتزل لك منه الحبل .. فإما أن تمسك به وتطلع وتُحَلِّقَ، أو إنك تكن على الأرض والأرض هذه نار تحت أقدامك ..

قَالَ: " .. فَتَعَلَّقْتُ فِيهَا وَتَحَصَّنْتُ بِمَنْ فِي السَّمَاءِ مِنْ فِتْنَةِ أَهْلِ الْأَرْضِ، لِأَنَّهُمْ سُرَّاقُ الْعُقُولِ، فَخِفْتُ أَنْ يَسْرِقُوا عَقْلِي،

وَذَلِكَ أَنَّ الْقَلْبَ إِذَا صَفَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ، وَأَحَبَّ قُرْبَ السَّمَاءِ، وَفَكَّرَ فِي قُرْبِ الْأَجَلِ، فَأَحَبَّ أَنْ يُوَكَّلَ إِلَى رَبِّهِ "

الْقَلْبَ إِذَا صَفَا هَبَّتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ، وَأَحَبَّ قُرْبَ السَّمَاءِ، وَفَكَّرَ فِي قُرْبِ الْأَجَلِ، فَأَحَبَّ أَنْ يُوَكَّلَ إِلَى رَبِّهِ

قُلْتُ: " يَا رَاهِبُ، مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُ ؟ " ..

قَالَ: " مِنْ زَرْعٍ لَمْ أَبْذُرْهُ، بِذَرَةِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ الَّذِي نَصَبَ الرِّحَا، يَأْتِيهَا بِالطَّحِينَ، وَأَشَارَ إِلَى ضِرْسِهِ

فهو يقصد إنه يرسل لها رزقها على المعنى الشرعي .. فتأخذ بالأسباب ..

قُلْتُ: " كَيْفَ تَرَى حَالَكَ ؟ "

قَالَ: " كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ أَرَادَ سَفَرًا بِلَا أَهْبَةٍ، وَيَسْكُنُ قُبْرًا بِلَا مُنَسٍّ .. هذه هي ضاقت عليه الأرض .. وَيَقِفُ بَيْنَ يَدَيَّ

حَكَمٍ عَدْلٍ " ثُمَّ أَرْسَلَ عَيْنِيهِ فَبَكَى.

قُلْتُ: " مَا يُنْكِيكَ ؟ "

قَالَ: ذَكَرْتُ أَيَّامًا مَضَتْ مِنْ أَجَلِي لَمْ أَحَقِّقْ فِيهَا عَمَلِي، وَفَكَّرْتُ فِي قِلَّةِ الزَّادِ، وَفِي عَقَبَةِ هُبُوطِ إِيَّايَ جَنَّةٍ أَوْ إِلَى نَارٍ " قُلْتُ: " يَا رَاهِبُ، بِمَا يُسْتَجْلَبُ الْخُزْنُ؟ "

ماذا أفعل لكي أبكي من خشيتي ويصير القلب خاشعاً ؟

قَالَ: " بِطُولِ الْغُرْبَةِ، وَلَيْسَ الْغَرِيبُ مِنْ مَشَى مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ صَالِحٌ بَيْنَ فُسَاقٍ "

هذا هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم، قال "طوبى للغرباء"، قيل: مَنْ الغرباء؟، قال "أناس صالحون قليل في ناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم" [رواه الطبراني وقال الألباني: صحيح لغيره، صحيح الترغيب والترهيب (3188)]

فقال له إن الغربة ليست إننا نغلق على أنفسنا أبواب بيوتنا، ثم لا نفهم بأي شيء .. بل أن الغربة الحقيقية أن تكن مرغوماً على البقاء وسط هؤلاء، رغماً عنك تجلس مع أهل الدنيا يلوثوك .. رغماً عنك تجلس مع الفسقة وتسمع لهم؛ لأن بينكم معاملات ورغماً عنك تري هذه الملوثات للقلوب للأسف الشديد ..

هذه هي الغربة، وعندما يستشعر المرء أنه غريب .. يحزن .. وحزنه هذا هو الذي يضيق عليه الدنيا، فتكن دمعته كأنها مرسال إلى الله عز وجل أن يُخَلِّصَهُ مِنْ هَذَا الْعَنَاءِ.

ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ سُرْعَةَ الْإِسْتِغْفَارِ تَوْبَةُ الْكَذَّابِينَ،

كما أقول لكم: يا شباب ننتبه نريد أن نستغفر ربنا، نريد أن نأخذ الطريق إلى ربنا .. استغفروا ربكم .. فيبادر أحدهم بقول: استغفر الله العظيم .. فقال له أنت هكذا كذاب ..

" إِنَّ سُرْعَةَ الْإِسْتِغْفَارِ تَوْبَةُ الْكَذَّابِينَ، لَوْ عَلِمَ اللِّسَانُ مِمَّا يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَجَفَّ فِي الْحَنَكِ ..

فلا يستطيع أن يخرج كلمة الاستغفار من حلقه .. لو اللسان يفهم قبح هذا الذنب الذي هو يستغفر منه، فاللسان يُغلق تماماً .. فيغلق ويخرس

" .. لَوْ عَلِمَ اللِّسَانُ مِمَّا يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَجَفَّ فِي الْحَنَكِ، إِنَّ الدُّنْيَا مِنْذُ يَوْمٍ سَاكَنَهَا الْمَوْتُ مَا قَرَّتْ لَهَا عَيْنٌ، كُلَّمَا تَزَوَّجَتِ الدُّنْيَا زَوْجًا طَلَّقَهُ الْمَوْتُ .. "

كلما تزوجت الدنيا أحداً .. كلما يآلف الدنيا أحداً، يطلقه الموت.

".. وَالْدُّنْيَا مِنَ الْمَوْتِ طَالِقٌ لَمْ تَقْضِ عِدَّتَهَا، فَمَثَلُهَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسْهُا وَالسُّمُّ فِي جَوْفِهَا"

الدنيا حيه ملساء، وجلد ثعابين رائع تصنع منه أفضل المصنوعات الجلدية، لكن السم بداخلها ..

ثُمَّ قَالَ الرَّاهِبُ: " يَا هَذَا، كَمَا لَا يَجُوزُ الزَّائِفَةُ مِنَ الدَّرَاهِمِ، -العملات الزائفة- كَذَلِكَ لَا يَجُوزُ كَلَامُهُمْ إِلَّا بِنُورِ الْإِخْلَاصِ، إِنَّ الْفِضَّةَ السَّوْدَاءَ لَتُزَخَرَفُ بِالْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ،

ثُمَّ قَالَ: " عِنْدَ تَصْحِيحِ الضَّمَائِرِ يَغْفِرُ اللَّهُ الْكَبَائِرَ .."

عند تصحيح الضمائر يغفر الله الكبائر،

".. فَإِذَا عَزَمَ الْعَبْدُ عَلَى تَرْكِ الْإِثَامِ أَتَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ الْفُتُوحُ، وَالِدُعَاءُ الْمُسْتَجَابُ الَّذِي تُحَرِّكُهُ الْأَخْرَاقُ "

أنا قلت الكلام كله يحتاج لتمعن النظر فيه؛ لأن كل كلمة .. الرجل أعطي خلاصة فقه المعاملة مع الله عز وجل في هذه الكلمات.

قُلْتُ: أَكُونُ مَعَكَ يَا رَاهِبٌ وَأَقِيمُ عَلَيْكَ.

قَالَ: " مَا أَصْنَعُ بِكَ؟ وَمُعْطِي الْأَرْزَاقِ، وَقَابِضُ الْأَرْوَاحِ يَسُوقُ إِلَيَّ الرِّزْقَ، فِي وَقْتٍ لَمْ يُكَلِّفْنِي جَمْعُهُ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ غَيْرُهُ ..

أنت لا تستطيع أن تفعل لي شيء .. هو وحده كفيلي .. {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ..} [الزمر: 36]

.. وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ "

فمحل الشاهد في الكلمات كلها أنها تدور حول جوهر موضوعنا اليوم::

أنه من عرف الله ضاقت عليه الدنيا بما رحبت؛ لأن قلوب العباد معلقة بالسماء، فبيها أنسه.

فلا شك أن من تعلق بالله تعالى تضيق عليه الدنيا وشهواتها، ويجب له في العزلة والتبخل، ويُزهد في حطامها الفاني.

الخامسة وهي جميلة:

(5) تضيق عليه الدنيا؛ شوقاً لله ..

ففي نهاية الأمر علام تصنع المقارنات؟ .. دنيا !! .. وتقطع نفسك علي الزوجة والشقة والسيارة والمركز الاجتماعي والمشغل التي أنشغل بها الناس.

تعالوا لتروا كلام المشتاقين؛ لأن هذا هو الذي يلين القلوب ويجعلنا علي الأقل أكثر تحفظاً من ثقلها علي أكتافنا ..

علمنا النبي **صلى الله عليه وسلم** أن نسأل ربنا الشوق إلي لقاءه .. والحديث رواه الإمام أحمد والنسائي بسنده عن عمار بن ياسر، كان يدعو بهذا الدعاء وفيه: " .. وأسألك لذة النظر إلي وجهك والشوق إلي لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين " [رواه النسائي وصححه الألباني] .. قولوا آمين ——— ..

ابن رجب شرح هذا الحديث شرحاً مستوعباً، في كتاب (استنشاق نسيم الأنس) ..

ابن رجب يعلق لماذا قال " .. وأسألك لذة النظر إلي وجهك والشوق إلي لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة "

قال: لأن محبة لقاء الله هي محبة الموت، وغالبًا تصدر إما عن:

1) ضراء .. هي ضراء الدنيا .. وقد هي عن تمني الموت حينئذٍ

2) فتنة مضلة، وهي خشية الفتنة في الدين .. وهو غير منهى عنه في هذا الحال

في غير ضرر يصيبه، ولا فتنة تضل به.

نحن كنا نقول الذي يعرف الله تضيق عليه الدنيا؛ لأن قلبه يكون مُشتعلًا .. قالوا كذلك:

الشوق : اهتياج القلوب إلي لقاء الله ..

قلب متقطع مُحترق؛ لأن بلسمه الوحيد هو النظر إلي وجه الله الكريم .. فيكون فيه هذا الإحساس ..

فقلوب المشتاقين هاربة عن الدنيا، فتضيق الدنيا بهم.

لذلك قال ابن القيم: "إن الله سَكَنَ قلوب المشتاقين، فقال:

{مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [العنكبوت: 5]

وهذه الآية في مفتاح العنكبوت، عندما تكلم عن الفتنة .. {أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: 2,3]

ثم قال {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [العنكبوت: 6]

هذه هي الدنيا كلها، الدنيا فتن محتاج أنك تتسلح فيها بسلاح الجاهدة .. فما هي الطاقة الداخلية، التي ستجعلني أخرج هذا في صورة عمل؟

قال الطاقة الداخلية:: هي **الشوق** ..

فقال: {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [العنكبوت: 5]

قال ابن القيم: "وفيه تعزية للمشتاقين وتسلية لهم، أي انا أعلم أن من كان يرجو لقائي فهو مشتاق إلي فقد أجلت له أجلا يكون عن قريب فإنه آت لا محالة وكل آت قريب ..

وفيه لطيفة أخرى وهي تعليل المشتاقين برجاء اللقاء ..

لولا التعلل بالرجاء لَقُطِعَتْ ... نفس احب صباة وتشوقا "

لولا ذلك الحريق الداخلي في قلوب المشتاقين .. لولا أن عندهم رجاء، أن المسألة تنتهي ونؤدي الوظيفة .. وأن الله سبحانه وتعالى يرحم شوقهم ضعفهم .. لولا ذلك لقطعت هذه النفوس ..

حتى إذا روح الرجاء أصابه ..

عندما يملأ الرجاء قلبه، حسن الظن بالله عز وجل ..

سكن الحريق إذا تعلل باللقا

إنما هي أيام تقضي ..

فالمشتاق إلى الله .. الذي هو في الأساس كاره الدنيا بهذه المعاني .. يتلبس دائماً بالأسباب الجالبة لخبه الله .. لكي لا ندعي الشوق ونحن لسنا له بأهل.

كيف يكون حال المُشتاق إلى الله؟؟

يتلبس بكل ما يتجنب به إلى الله .. قراءة القرآن بالتدبر، التقرب إليه بالتواضع بعد أداء الفرائض، دوام الذكر علي كل حال، إيثار محبته علي محاب نفسه، مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، تقليه في رياض المعرفة، مشاهدة بره وإحسانه، انكسار القلب بين يديه، الخلوة به وقت الزول، مجالسه اخبين الصادقين، والتقاط كلامهم الطيب عنه سبحانه وتعالى، ومباعدة كل سبب يحول بين العبد وبين الله عز وجل وبين القلب وبين الله فهو دائم الشكر والعرفان،

وتراه **هذه علامته** يستحضر دائماً هذا المشهد، لا يفارقه في يومه ولا ليله: **رؤية الله في الآخرة.**

و لذلك ربط النبي **صلى الله عليه وسلم** بينهما، فقال "وأسألك لذة النظر إلي وجهك والشوق إلي لقائك في غير ضراء مضره ولا فتنه مضلة) .. علي أن الترتيب لا يأتي كذلك.

فالمفترض أن الشوق إلي لقائك يأتي أولاً ثم لذة النظر، ولكن كأنها هي السبب .. أهم شيء يشغل نفسه به لذة النظر إلي وجه الله الكريم .. فهو دائم استحضار هذا ،

وكذلك استحضار ما ثبت **عنه صلى الله عليه وسلم**، من مشاهد يوم القيامة عن رب العزة .. "يتجلى ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكاً" [صححه الألباني، السلسلة الصحيحة (755)] .. الحديث رواه الطبراني وصححه الألباني ..

هل سمعتموه قبل ذلك؟ .. "يتجلى ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكاً" [صححه الألباني، السلسلة الصحيحة (755)] .. الحديث رواه الطبراني وصححه الألباني .. ولن نعدم من ربّ يضحك خيراً ..

التجلي .. انظروا أيضاً، لحظه اللقاء هذه التي أنت في الأساس تتقطع من أجلها يا مشتاق .. ستكون بالجمال والهنا والسعادة وقل كما تريد .. يتجلى لنا ضاحكاً .. أو يضحك ربنا؟ قال: لن نعدم من ربّ يضحك خيراً .. الله أكبر ..

وفي حديث المرور علي الصراط، والحديث رواه الطبراني أيضاً وصححه الألباني "حتى يمر الذي يعطى نوره على ظهر قدميه يجر على وجهه ويديه ورجليه ..

انتبهوا إلى هذا المشهد، هذا هو إهمام قدمه سيضيء .. إهمام قدميه .. كالمصباح الصغير جداً ..

كيف يسير؟؟ .. يجر علي وجهه ويديه وقدميه وهنا يكون الحوار الجليل العظيم بين الربّ وهذا العبد، بعد أن ينجه الله عز وجل من النار .. وفيه "ألم ترض أن أعطيك مثل الدنيا منذ خلقتها إلى يوم أفنيها وعشرة أضعافه؟، فيقول: أقرأ بي وأنت ربّ

العزة ؟، فيضحك الربُّ عزَّ وجلَّ من قوله .. فيقول الربُّ جل ذكره: لا ولكني على ذلك قادر" [رواه الطبراني وصححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (3591)]

سبحان الله .. هذا الشوق هو الذي ضَيَّقَ علي العِبَادَ دنياهم ..

كان أبو الدرداء يقول "أحب الموت لا لشيء، إلا اشتياقا إلي ربي".

وكانت عجوز غاب قريباً لها، فعندما قَدِمَ من سفره فَرِحَ به أهله وأقاربه، وقعدت هي تبكي .. فقالوا لها: ما يبكيك؟! .. ذكرني قدوم هذا الفتى يوم القدوم علي الله عزَّ وجلَّ.

وكان عنبته الخولاني يقول "كان من قبلكم لقاء الله أحب إليه من الشهد"

وكان البعض يُسَكِّنُ شوقه، فيقول:

"طال شوقي إليك، فعجّل قدومي عليك"

ومن اللطائف التي ذكرها ابن القيم في (مدارج السالكين) من سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، قال: كان في بداية أمره .. اسمعوا يا شباب؛ لأننا دائما بنقرأ النتائج ولا نعلم المقدمات، نحن نقرأ أن شيخ الإسلام ابن تيمية رجل كل هذه العصور الذي .. والذي .. والذي .. فكيف كان ابتدائه ؟ كيف تري ؟ ماذا فعل في البداية ؟

ابن القيم يقول المدارج "وكان في بداية أمره يخرج أحياناً إلي الصحراء يخلو عن الناس لقوة ما يرد عليه .."

يوجد وقت في البداية القلب يكون يحتاج إلي لحظات خلوة؛ لأنه من يأتيه لا يستطع الانقطاع عنه .. عارف أنت يكون لك حال معين مع الله .. واحد وفقه الله للقيام في ليلة، وتجذ كل الذي اشتغلت به في الليل يفسد في أول مجلس جلسته مع واحد من أهل الدنيا في النهار .. يحدث كثيراً ذلك.

فالمرء يحتاج لأخذ هذه الشحنة بشكل صحيح؛ لذلك عندما يذهب أحدنا إلي العمرة عشرة أيام ويعود .. يكون عندما أقترَب من ضبط أحواله قبل شهر رمضان بقليل ويبدأ يفيق .. يجد أن سيل الفتن قد دخل عليه ويحدث له مشكلة ..

فيأتي الوقت الذي يحتاج فيه العبد إلى شيء من العُزلة، شيئاً ما في البداية حتى يتم له أمره ..

فكان يخلو في الصحراء لقوة ما يرد عليه، ويتمثل بقول الشاعر:

وأخيره من بين البيوت لعنني ... أحوث عنك النفس بالسر خاليا

أتفهمون؟ .. لأن أحياناً تحتاج لوقت لتكلم معه ولا تريد أحد إن يقطع هذا تماماً ..

وأخيره من بين البيوت لعنني ... أحوث عنك النفس بالسر خاليا

قال ابن القيم "صاحب الحال .. وابن القيم صاحب أحوال، فيفهم ما يُقال جيداً .. أتعلمون عندما كنا نقول مدار الأمر في قصة الإخلاص وغيرها علي تكوين الحال .. أن يكون لك حال مع ربنا سبحانه وتعالى ..

فيقول "صاحب هذه الحال إن لم يرده الله سبحانه إلى الخلق بتثبيت وقوة، وإلا فإنه لا صبر له على مخالطتهم"

لو لم يثبتك الله وقوّاك أنك تتعامل مع الناس دون أن يتأثر قلبك، ففي هذه الحالة لا تقدر علي مخالطتهم .. فلذلك تضيق عليك الدنيا بما رحبت ولا تستطيع .. تأتي في وقت من الأوقات وتقول: لا أستطيع .. أنا ما صدقت أن استشعرت .. هل تشعرون بهذه المعاني هذه يا شباب؟؟

هنا سؤال مكاشفة::

هل أنت تحب وتشاق في غير ذنء مضرة ولا فتنة مضلة؟

اسأل نفسك ..

أبو بكر حين وصى عمر رضي الله عنه، قال له "إن حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت ولا بد لك منه، وإن ضيعتها لم يكن غائب أكره إليك من الموت ولن تعجزه" ..

كما يقول أبو حازم "فكل عمل تكره الموت من أجله فاتركه، ثم لا يضرك متى مت"

المسألة بسيطة ..

أخي شيء نخشى أن تلقى الله عز وجل به، أدركه بهذا المعيار: : اعرضه علي الموت ..

هل تموت وأنت مقصر في ... وفي وفي ؟؟.. لو هذا ليس عندك، فلم تحقق الإخلاص المطلوب ولم تحقق الشوق وستجد الدنيا أسعد شيء أنت بها وليست ضاقت عليك الأرض ..

وقد أحسن القائل "أمستوحشٌ أنت مما جنيت ؟! ... فاحسن إذا شئت واستأنس"

(6) تضيق الدنيا بعباد؛ ليعلمهم الله التوكل واليقين ..

هو تضيق عليه الدنيا باعتبار آخر، فهو في فتن وابتلاءات ومشاكل .. فما هي الحكمة من هذا كله؟!

لِنَتَعَلَّمَ دَرَسَ التَّوَكُّلِ وَالْيَقِينِ.

{ .. وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ .. } [الطلاق: 2,3]

ابن القيم له كلام جميل في (الفوائد)، يقول: "إن التوكل علي نوعين:

(1) نوع توكل علي الله في جلب المصالح ..

هذا جيد تمام، أنا أتوكل علي الله عزَّ وجلَّ ليدفع عني هذه المكروهات والمصائب ويعطيني ما يكون عونًا لي علي طاعته .. هذا جيد .. موازين البشر .. أما الآخر ..

(2) والتوكل عليه في حصول ما يجب هو وقد لا يكون محبوبًا لك

بمعنى أنك لا تفهم هذا، لكن هو يجبك هكذا .. ولا تستطيع أن تصل إلي هذه الدرجة من الإيمان واليقين.

{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ..} [البقرة: 216] .. أنت تكره هذا، لكنه محبوب إلي الله عز وجل .. فاستعين به، لكي أنفذ ذلك .. جهاد النفس .. مكروه إلي النفس، لكن فيه محبته ..

قال ابن القيم "فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل، فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم"

وبعد ذلك يقول "والتوكل يكون .."

نحن الآن فهمنا التوكل يكون في أمرين::

(1) تتوكل عليه في قضاء مصالحك وحاجتك ودفع المضار عنك.

(2) تتوكل عليه لتحقيق ما يحب هو ويرضاه.

قالوا التوكل نوعين::

(1) توكل اضطراري .. (2) توكل اختياري.

التوكل الاضطراري: وهنا يكون الدرس ..**"بحيث لا يجد العبد ملجأ ولا وزرا إلا التوكل، كما إذا ضاقت عليه الأسباب وضاقت عليه نفسه وظن ألا ملجأ من الله إلا إليه"**

فُضِيْقَهَا عَلَيْهِ جَدًّا؛ لَكِي يَسْتَخْرِجَ مِنْ قَلْبِهِ مَقَامَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ .. الَّذِي هُوَ مِنْ أَعْظَمِ مَقَامَاتِ الْعِبَادَةِ ..

فقد تضيق عليه الدنيا بما رحبت؛ ليتعلم هذا الدرس .. من الممكن ألا تتعلمه نظرياً، إذا تكلمنا فيه كثيراً وقلنا: التوكل والعلماء ذكروا اسم الله الوكيل وأن مداره علي هذه المعاني .. أن الله هو الكفيل وأن الله هو الكافي وأن الله هو حسبك وأنه .. وأنه .. والتوكل عليه أنك تنقطع كل حبالك الموصلة بالأسباب وتكون معلقه بمسبها سبحانه وتعالى .. مهما أشرح لك .. فالنظريات في التوكل شيء، وأن تتعلمه عملياً بتربية الرب سبحانه وتعالى شيء آخر.

فيغلقها تماماً أمامك .. يغلق الأبواب أمامك .. فلا تجد ملجأ إلا إليه سبحانه وتعالى ..

هنا ظه بمعني اليقين .. توقعه أنه له ينجيك إلا الله،،

أنا عادة الناس في الأسئلة توقعك في هذا الجزء، هو يريد يستخرج منك فتوى تُسير له أمر من الأمور التي لا يستطيع حلها .. فيريدك أن تجربه إنه أمر جائز .. ضرورة .. الضرورات تبيح المحظورات هنا .. فيكون دائماً الحل أنه يغلقها لي تماماً، فيريدك أن تُجيزها له .. فلكي لا تجري وراء أهوائهم، عليك أن تذكرهم بأمر واحد، تقول:

وَلَمْ يَصْنَعِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِكُمْ ذَلِكَ ؟؟

أخت اتصلت عليّ من أمريكا، وقالت: أنا في فتنة شديدة وأنا منتقبة من أربع سنين ونحن هنا في أمريكا، كل المنتقبات في الولاية التي أنا فيها قليلات جداً .. وأنا خائفة أن أخلع النقاب فتكون فتنة، لكن في نفس الوقت كل الوظائف التي أتقدم لها .. وهي تريد أن تأخذ دراسات معينة .. تقول: أهلي صرفوا عليّ آلاف الجنيهات .. فأنا الآن في غربة ولا أستطيع أن أعود ولو عُدت حضرتك تعلم الوضع في البلاد كيف يكون .. وو...وو...وو .. ماذا أفعل ؟ .. اغلقتها لي من كل جانب .. إذاً، ما هو الحل؟

الحل: هو معاني الإيمان هذه .. فتكلمت معها في معاني للأسف في ازدحام الدنيا صارت مُبعدة، عندما تحدثت معها في معاني اليقين ..

قلت لها: أنا أثق في الله عزَّ وجلَّ؛ لأني لا أتعامل مع الناس أنا أتعامل مع ربِّ الناس .. وأنا مؤمن بأن الله هو القاهر فوق عباده، يقهر عباده علي ما يجب ويرضي .. فإذا أراد الله بك خيراً، سيدبره لك .. ثم الله عزَّ وجلَّ يتليك هذا الابتلاء ليسمع أُنينك.

فهل استوعبتِ هذا الدرس؟

الله يتليك ليسمع تضرعك؛ لأن قلبك ربما قسي من الفتن .. فالله يقول: {فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ} [الأنعام: 43]

للهِ فعلاج قسوة القلب في التضرع ..

فإذا استخرج من قلبك هذه المقامات في العبودية، فقط تم الأمر.

فعندما يأتي يغلقها لك تماماً، ويريد يخرج منك ضرورة تقول له: هل استوعبت الدرس؟؟ .. فهتمت معني درس اليقين؟؟ .. هل فهتمت التوكل؟؟ .. هل فهتمت حسن الظن عندك ثقة في الله؟

أنا أوّل ما تحدثت معها قلت لها: هل عندك ثقة فيما سأقول؟ .. قالت: ما تقول ؟

قلت لها: هل عندك ثقة في أن الله هو القائل: { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (*) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ .. } [الطلاق: 2,3] .. أنا علي ثقة من ذلك، فهل أنتِ علي هذه الثقة؟؟ .. قالت: ونعم بالله .

قلت: إذاً تفتك فيهِ تستوجب أن الأمر واحد اثنين ثلاثة ..

الإيمان هو الذي يُنجيك من المشاكل ..

هذا هو الذي يحدث، لِمَ ضاقت عليها الدنيا فتنة ومشاكل و... وو ؟ .. لماذا تفهمها بمنظور الناس؟!

لنا ربُّ هو ربُّ الناس، نتوكل عليه ونُحسسه الظه فيه ونوقه به سبحانه وتعالى.

إذاً، من عرف الله عزَّ وجلَّ ضاقت عليه الدنيا بهذه الاعتبارات الست التي ذكرناها.

يستوجب البحث أن نختتم بحثنا في عجالة عن شرح الصدر ونحن افتتحنا بها الدرس ..

قلنا العلاقة بين قوله تعالى {لَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ *} وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ { [الشرح: 1,2] وموضوع درسنا ..

فإذا الذي أصبح عنده ضيق صدر .. والضيق نوعان.

(1) الضيق السلبي .. (2) الضيق الإيجابي ..

الضيق السلبي .. هذا الذي عنده ضيق صدر بسبب الدنيا واهتمامه بها

إنما الضيق الآخر الذي هو ضيق المشتاقين والمعاني التي تحدثنا عنها، هذا هو **الضيق الإيجابي ..**

فمن يعاني من الضيق السلبي .. كيف يستدفعه؟؟

كيف ينشغل الصدر؟؟؟

ذكر العلماء أسباب كثيرة جداً، مآلها على جميع النقاط التي تكلمنا تقريباً عنها .. التي هي تحقيق معاني المعرفة:

السبب الأول في شرم الصدر: قوة التوحيد ..

ابن القيم يقول " فمحبة الله ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه، وإفراده بالحب وإفراده بالخوف، والرجاء والتوكل والمعاملة .. كل هذه المعاني .. بحيث يكون هو وحده المستولى على هموم العبد وعزيمته وإرادته، هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم "

قوة التوحيد، وقوة التعلق به سبحانه وتعالى .. قوة المعرفة، تشرح الصدر ..

يدخل نور التوحيد في ظلمات الشراكيات، التي تلطخ القلب وتصيبه بالأدران .. شراكيات الخبة وشراكيات التوكل وشراكيات الخوف، وكل هذه المعاني .. فيدخل نور التوحيد فيمزق هذه الحبال الموصولة بغيره سبحانه وتعالى .. إذاً هذه أول الأسباب.

ثاني الأسباب : حسن الظن به سبحانه وتعالى ..

بأن تستشعر أن الله وحده هو فارج همك وكاشف لتلك الغيوم عنك، فإن أحسنت ظنك به فتح عليك من بركاته من حيث لا

تحتسب " أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن خيرًا فله وإن ظن شرًا فله" [رواه أحمد وصححه الألباني، صحيح الجامع (4315)]

فأحسن الظن ولا تكن ممن قال الله فيهم {وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [الفتح: 6]

ثالث الأسباب: كثرة الدعاء ..

لأن كثرة الإلحاح على الله عز وجل توسع كل ضيق ..

فيا مه ضاق صدره وتكدأ أمره، أرفع أكف الضراعة إلى مولاك .. وبث إليه شكواك .. وأذرف الدمع بيه يديه
وأعلم إنه أرحم بك مه أمك وأبيك وصحبك وبنيك ..

هذا كثرة الدعاء والإلحاح عليه، تشرح الصدر.

السبب الرابع: المبادرة إلى ترك المعصية ..

فإنه معلوم سبب قصم الظهر كما قلنا .. قصم الظهر يكون بسبب الذنب، وهذا الذي لا يشرح الصدر .

قال تعالى {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (*) وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ (*)} (الذي أُنْقَضَ ظَهْرُكَ) [الشرح: 1,3]

إذا، العكس المبادرة إلى الطاعة وتجديد التوبة تشرح صدرك ..

ولما استسقى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال في دعائه " اللهم إنه لم تنزل عقوبة إلا بذنب، ولا تنكشف إلا بتوبة "

إذا .. ابن القيم يقول في هذا المعنى "وما يجازى به المسيء من ضيق الصدر وقسوة القلب وتشتته وظلمته وحزازه وهمه وغمه وحزنه وخوفه، وهذا أمر لا يكاد من له أدنى حس وحياء يرتاب فيه .. فكل الهموم والغموم والأحزان والضيق، عقوبات عاجلة ونار دنيوية وجهنم حاضرة .. والإقبال عليه والإنابة إليه والرضا به وامتلاء القلب بحبته واللهج بذكره والفرح والسرور بمعرفته، ثواب عاجل وجنة وعيش لا ينسب لعيش الملوك إليه البتة" .. هذا الكلام في الوابل الصيب.

إذا، السرعة والمبادرة للطاعة وتجديد التوبة.

السبب خامس: أداء الفرائض والمداومة عليها ...

من أهم أسباب شرح الصدر؛ لأن الله عز وجل قال " .. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه .. " [صحيح الجامع (1782)]

فهذا من أهم أسباب شرح صدر الإنسان، أن يدخل القلب الحبة بهذا الأمر وهو الحافظة والتدقيق والتحقيق في أمر الفرائض.

السبب السادس: مجالسة الصالحين تشرم الصدر ..

فالاجتماع بهم والاستئناس بسماع كلامهم مذهبة لتلك المساخط مرضاة للرحمن ومسخطة للشيطان.

فاحرص على ألا تجلس وحدك، حتى لا يكون الشيطان عليك مسيطراً ومستحوذاً ..

وجاهد نفسك وغالبها على الاجتماع بأهل الخير والصلاح، وزيارة أهل العلم وطلبة العلم، وهؤلاء الذين يزداد الواحد بالنظر إليهم إيماناً.

السبب السابع: قراءه القرآن تدبراً وتأملًا ..

فلا شك أن القلوب تطمان بذكر الرحمن، ولا أعظم من القرآن ذكراً .. {وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء: 82]

السبب الثامن والأخير: الذكر ..

ولاسيما الحافظة على الأذكار المؤظفة، لاسيما أذكار الصباح والمساء وأذكار النوم .. فإنها من أعظم الأسباب التي تزيل الكرب وتزيل الهم وضيق الصدر.

كما ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم : كان إذا نزل به همٌّ أو غم قال "يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث" [رواه أحمد وحسنه الألباني، صحيح الجامع (4791)] .. وكان يقول "دعوات الكرب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت" [رواه أحمد وحسنه الألباني، صحيح الجامع (3388)]

فهذا ما تيسر حول هذه العلامة التي ذكرها الإمام ابن القيم في كتاب المدارج ..

مه عرف الله تعالى مذاقت عليه الدنيا بسعتها

وستكون المحاضرة القادمة بإذن الله تعالى في المعنى الثاني، ألا وهو::

من عرف الله تعالى اتسع عليه كل ضيق

وتكون المحاضرة بإذن الله بهذا العنوان "**فرحان بالله**" .. عن منزلة السرور بالله جلّ وعلا.



فنسأله الله تبارك وتعالى أن يمجّده فيما قلناه وما سمعتموه الحجة لنا لا علينا ..
ونسأله سبحانه وتعالى أن يتقبلنا منا ومنهم، وأن يأخذ بأيدينا وأيديهم إليه أخذ المجرم عليه
إنه وَلِيٌّ ذَلِيلٍ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ

{ فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } [غافر: 44]

سبحانك اللهم ربنا وبصحتك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فضيلة الشيخ / هاني حلمي